20051204-0001.R

الاحد ٤ كانون الاول ٢٠٠٥

حقول القتل

"حقول القتل" عنوان الفيلم الاميركي الذي اخرجه عام ١٩٨٤ رونالد جوفي وكتب السيناريو له بروس روبنسون. وقد اكتسب هذا الفيلم شهرة واسعة بعدما سلط الاضواء على المجازر الجماعية التي ارتكبها نظام بول بوت في كمبوديا واسفرت، استنادا الى شهادة اميركي عاش هناك، عن مصرع مليوني شخص في حملة التطهير العرقي التي شنها النظام الدموي.

وبالامس القريب كانت حقول القتل تنكشف في العراق من خلال مقابر جماعية، وتشهد اليوم محاكمة الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين على خلفية جرائم قرية الدجيل.

وأمس، ظهرت مقبرة عنجر عندنا على مقربة من المقر السابق للمخابرات السورية الذي منه حُكم لبنان على مدى ثلاثين عاما، بعد فترة وجيزة من اكتشاف مقبرة مماثلة في فناء وزارة الدفاع باليرزة.

وليس مستبعدا ان يجري الكشف عن مزيد من هذه المقابر بعدما كان ذلك متعذرا إبان نفوذ دمشق الذي كان يفرض الصمت على ما كان يجري في اقبية التعذيب في لبنان وسوريا وما يسقط في هذه الاقبية من ضحايا باعتبار ان القاعدة وليس الاستثناء في تلك الحقبة: الداخل مفقود والخارج مولود.

ولكي تكتمل الصورة يجب التأكيد ان لحقول القتل اللبنانية تاريخا حافلا على امتداد ثلاثة عقود. فالمقابر الجماعية التي خلفتها اسرائيل على امتداد حقبة طويلة من اجتياحاتها واحتلالاتها كانت ظاهرة ايضا وآخرها تلك التي اكتشفت عام الفين في بنت جبيل وتعود الى النصف الثاني من السبعينات وتضم رفات مقاتلين لبنانيين وفلسطينيين.

وهذه الحقول تضم ايضا مقابر لبنانية بامتياز منذ "السبت الاسود" وضحايا الخطف على الهوية في البيروتين في بداية الحرب مرورا بمجازر حرب الجبل وصراع الاشقاء في المناطق الشرقية، ومن ثم مقابر الشمال والبقاع والجنوب على انواعها. انه تاريخ اسود تورط فيه الجميع ممن ذهبوا او بقوا على المسرح. وتأتي اليوم مقبرة عنجر لتفتح باب الذاكرة وتنكأ الجروح وتطلق صرخة الم في قلب كل من فقد قريبا.

والآن ماذا في الاكتشاف الجديد؟

ادانة اضافية لحقبة السيطرة السورية التي لا تزال في قلب العاصفة الدولية الناجمة عن اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري. وقد يصيب هذا الاكتشاف بالاحراج الاضافي من لا يزال يثابر على الدفاع عن جانب من تاريخ النظام السوري كمثل التذكير بامتنان بمساهمة هذا النظام في مساعدة لبنان على تحرير معظم جنوبه من الاحتلال الاسرائيلي وفي عودة السلم الاهلي في بداية التسعينات. لكن هؤلاء عاجزون عن اغماض العين او دعوة سواهم الى اغماض عيونهم عن الجانب المظلم من ممارسات هذا النظام.

وفي الوقت نفسه يتعين على الذين وقفوا دوما ضد التدخل السوري، او انضموا اخيرا الى هذا الموقع، ان يأخذوا في الاعتبار ان التاريخ الاسود اوسع من مقبرة عنجر وهو حافز متجدد للبنانيين لأن يخرجوا جميعا من المقبرة الجماعية الى ساحة الحياة المشتركة.

احمد عياش